

خطاب جلالة الملك

بمناسبة عيد الفطر المبارك

الحمد لله   والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

أبيت الا أن أخاطبك اليوم جرياً على عادة لا أريد لها انقطاعاً وحفاظا على تقاليد لا أود لها انفصاماً، فأبارك لك عيدك عيد الفطر السعيد الذي أرجو من الله أن يعيده عليك بعد أن صمت النهار وقمت الليل وأديت الفريضة عليك، بالخير والثواب وحسن المآب.

وكانت دائماً شعبي العزيز فرصة الأعياد فرصة يتيحها بعضنا لبعض حتى نتجاذب أطراف الحديث ونخبرك ونبئك بما يخامرنا، وبالأفكار التي تخالجنا، وبالخطط التي نود رسمها والخطوات التي نرجو قطعها.

إن شهر رمضان، الشهر الذي أنزل فيه القرآن، كان شهراً حافلا شعبي العزيز بالنسبة للأمة العربية، وبالنسبة لك خاصة وبالنسبة لتاريخ العالم.

كان مهماً بالنسبة لتاريخ العالم، لأن الجغرافية الفكرية التي يكونها الناس اليوم على مائة مليون من العرب، وبالتالي على ما يزيد على ستمئة مليون من المسلمين قد تغيرت بكيفية جديدة، فأصبحت مفاهيم اليوم ليست مفاهيم الأمس. وبالتالي صار لزاماً على كل مفكر ومخطط على صعيد وطني أو إقليمي أن يفكر جدياً في التطورات وما سيتبع التطورات التي طرأت على العالم، حيث انها طرأت على أسرة وهي أسرة العرب وأسرة المسلمين التي عرفت دائما بجيوشها ونشاطها، فكان لها الباع الطويل ولن يزال باعها طويلا إن شاء الله في بناء الحضارات وفي تشييد صرح التقدم البشري.

كان شهرا مهما بالنسبة للأمة العربية، ذلك أنها نفضت عنها غبار خرافات وأوهام كانت تخيم عليها وتثقل كاهلها، حتى صارت الأمة العربية اليوم تتعجب من نفسها بل تتساءل كيف أنها عاشت أزيد من عشرين سنة وهي سابحة إن لم أقل غارقة في أوهام وفي تخوفات سهل عليها أن تمحوها نهائياً وأن تجعل نفسها والغير يعتقد عكس ما كانت تعتقد، ويظن خلاف ما كانت هي نفسها تظن. فتحرر العرب والعربي، وانطلق العرب والعربي، وأسمع العرب والعربي كلمتهم وصوتهم، وأصبحوا أولئك الأبناء الذين يحق لهم أن يفاخروا بأولائك الآباء، بل أصبحوا أولئك الآباء الذين يحق لأبنائهم أن يفاخروا بهم ويضاهوا الأمم بذكرهم وذكراهم ومفاخرهم وأسطوراتهم وشجاعتهم واقدامهم.

وكان هذا الشهر — شهر رمضان — مهما بالنسبة لك شعبي العزيز، ذلك أنك حققت ما كنا نظنه جميعا، قال النبي صلى الله عليه وسلم (والروايات مختلفة) في حديث صحيح : ﴿إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم﴾. وحينما أرسلنا التجريدة الأولى إلى الوطن الشقيق سوريا قلنا إذ ذاك ونحن نخاطب جيوشنا وأبناءنا الأعزاء — وحينما قلت كنت في الحقيقة أنطق بفمكم وأنوب عنكم في الكلام والخطاب — قلنا جميعاً لاخواننا وأبنائنا : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها، فتنبأنا أنهم سيردون التحية بسرعة وتنبأنا كذلك أن الله سبحانه وتعالى سيلهمهم الثبات والصمود والهداية والرشاد فيردوها بأحسن منها.

فهنيئا لنا شعبي العزيز، هنيئاً لنا معشر المغاربة. حيث اننا في هذا القرن، في هذا العالم، في هذا الجو المحيط بنا، الذي تغلبت فيه المادة على التفكير، والذي أصبحت فيه الروحيات والقيم النفسية شيئاً لا تعطى له قيمته الحقيقية، هنيئاً لنا أن رأينا أن أمهاتنا مازلن يحملن في بطونهن ويرضعن من أثدائهن أبطالا مثل إخواننا الذين ذهبوا ليضحوا ويريقوا دماءهم ويستشهدوا ويصابوا ويجرحوا لا لأرض تعتبر أرضهم ولا لوطن يحمل جنسيتهم ولا دفاعا عن علم يرفرف على بطاح تلك الأراضي، بل ليدافعوا عن فكرة وعن كرامة وليدافعوا عن دين وعن حضارة وليدافعوا عن شرف وسلالة، تلك السلالة وتلك الخلية التي جعلها الله سبحانه وتعالى مصنوعة من أديم واحد ومن لغة واحدة، ودين واحد واعتقاد واحد.

فهنيئاً لنا إذن معشر المغاربة، إذ مازلنا نتوفر على طاقة بشرية مثل هذه الطاقة.

والآن أعتقد شعبي العزيز، أنني حينما أقول لك ان محبتي فيك وتعلقي بك لا حد لها، اليوم أظن أنك تعرف وتلمس الأسباب الحقيقية التي كانت ولن تزال تجعلني فيك مغرما، وبك متيما. وبهذه المناسبة لا يمكن لأي وطني أو مواطن أن يفتح بالتهنئة أو يصافح أخاه بالتهنئة، دون أن يفكر طويلا وبعمق في أخوان له، هم على أرض سوريا وهم على أرض الكنانة. منهم من أدى، ومنهم من قرر أن يؤدي واجبه إلى النهاية، منهم من مات فكتب مع الشاهدين، ومنهم من عمل ما أمكنه ليستشهد، ولكن الله أطال عمره، فنقول لهم : اطمئنوا اخواننا وأبناءنا أن أسرتكم أسرتنا، وذويكم هم أهلنا، وأبناءكم أبناؤنا، وأراملكم طرف وجزء من أسرنا، فإذن لا يبقى لكم ولا يمكن أن يبقى لكم إلا هم واحد : أن تمثلوا بلادكم وماضيكم وتعلنوا عن مستقبلنا نحن، وتنبؤوا به الأجيال المقبلة، بما نستحق وبما يستحق تاريخنا، وبما تستحق بلادنا من بسالة وشجاعة واستماتة.

إن الظروف التي سيقبل عليها العالم العربي اليوم ظروف دقيقة، لأن اختياراتنا سوف تكون لها انعكاسات أخطر وأعمق مما يمكننا أن نظن، لذا فإننا نعتقد أن العربي في حاجة أكثر من أي وقت مضى، إلى التشاور، وفي حاجة إلى التحادث وإلى التضامن، في حاجة إلى وحدة الصف.

نعم، من الممكن بل من الواجب أن تكون هناك خلافات في الواجهات التي نريد أن نخطو نحوها، من الطبيعي بل من الضروري ألا نكون متفقين في الأسلوب، ولا على الطريقة، ولكن أعتقد شخصياً أننا في غنى ولسنا في حاجة أبدا إلى أن نطرح مشاكلنا أمام الخاص والعام، ليس من الضروري أن يعلم الخصوم وحتى الأصدقاء مشاكلنا الداخلية ومنافساتنا الجهوية، وأن يعلموا ما من شأنه أن يفرقنا، كفانا فخراً أنهم علموا وعلمناهم ما وحدنا وما وحد صفوفنا : ألا وهو النصر ألا وهو الايمان بعقيدتنا، لأنني أعتقد أن العرب قد انتصروا وسوف أبقى معتقداً أننا انتصرنا على أنفسنا وعلى خصومنا، إلا أن علينا أن نعلم أن من الناحية العسكرية هناك مبدأ يتعلمه كل مبتدىء وهو الآتي : كل انتصار لا يستغل إلى النهاية ليس بانتصار، بل في إمكانه أن يرجع هزيمة.

ها نحن انتصرنا، فعلينا إذن أن نستغل انتصارنا أعمق استغلال وأوفى استغلال، حتى يمكننا أن ننتصر في المعركة الأخرى التي سوف تكون أطول وأشق، ولا سبيل لنا إلا الوحدة في الرأي، ولا وسيلة لنا إلا السكوت، فإذا أراد واحد منا أن يتكلم أو يكتب فلينتظر حتى نكون مجتمعين، على أي صعيد كان وفي أي مكان كان، فإذ ذاك له أن يكتب ويقول.

أما أن نأخذ — كما يقول الأجنبي — ملابسنا المتسخة فنحاول غسلها أمام الأجانب وفي الشارع وعلى



مرأى ومسمع من الناس، فسوف يعتقد فينا إذا فعلنا هذا أننا لسنا شجعانا، وكما قال فيهم المتنبي :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

فإذا نحن اقتصرنا على هذا الانتصار فسوف يقول فينا التاريخ ان هذا الانتصار كان حدثاً من أحداث الزمن، بل ربما صادفناه في طريقنا وكان في الامكان ألا نتلاقى نحن وإياه.

أما نحن إذا أردنا أن يكتب علينا التاريخ وتسير بنا الركبان في الكتابة والقول، على أننا قررنا المعركة وخضناها حسب طريقة وتصميم مدروس وخضناها لأننا أردناها في مواقيتها ومواقعها، علينا إذن ألا نظهر بالمتهورين وأن نظهر بالشعب العربي والأمة الاسلامية التي هي في مستوى مواعيد التاريخ، وفي مستوى تاريخها وحاضرها ومستقبلها.

هذه ــ شعبي العزيز ــ كلمتي إليك بمناسبة هذا العيد، عيد امتزج فيه الفرح والحزن، الفرح : فرح الانتصار، ونشوة الظفر، والحزن : ذلك أن أبناء لنا قد استشهدوا وسوف يغيبون عنا نهائياً إلى أن نلقاهم أمام الله سبحانه وتعالى.

وعسى الله أن يجعلنا منهم، لأنهم في مقعد صدق مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

عيد امتزجت فيه عواطف من الاندفاع والحماس ومشاعر من المسؤولية وإحساس عميق بضرورة التفكير المستمر، عيد تمكنا فيه أن نعبد الله بجوارحنا وقلوبنا.

وفيما يخص المغرب إذا كان لزاماً على أهل المغرب أن يؤدوا صلاتهم وهم متجهون إلى الكعبة، فلي اليقين أنهم لم يتوجهوا قلباً وقالباً ونظراً ووجهة وجسداً وذاتاً إلى الشرق إلى الكعبة إلى بيت الله مثلما توجهوا هاته الوجهة مدة شهر رمضان.

لذا شعبي العزيز أرجوك أن تبقى متتبعاً للمعركة الثانية والشوط الثاني الذي سنخوضه نحن العرب جميعاً، لا أقول بلداً من البلاد العربية بل أقول العرب كلهم.

وأريد أن تبقى متشبثاً دائما بالرأي الثاقب المعروفة فيك، حتى يمكنك أن تقيم الظروف فتعرف عمقها وخطورتها، ويمكنك إذ ذاك أن تحلل ما من شأنه أن يأتي بالفرج والنصر المستمر النهائي لقضيتنا.

شعبي العزيز :

مرة أخرى أرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيد عليك هذا العيد وأنت مفتخر بمغربيتك، غيور على دينك، فخور بمواطنيك، مؤمن بمستقبلك، على علم كبير بواجباتك ومسؤولياتك، حتى يمكنك زيادة على عملك اليومي في بلدك هذا أن تدلي بنصيبك وتعتني بلبنتك في بناء مجد أسرتك الكبرى، الأسرة العربية والاسلامية، التي نرجو الله سبحانه وتعالى أن يسدل عليها ما وعدها به من عز وسؤدد وعلو همة، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الاثنين 2 شوال 1393 ــ 29 أكتوبر 1973